مدخل إلى علم اللسان الحديث

الباب الثاني في المذاهب والنظريات اللسانية الحديثة

I-النزعة البنوية ومذاهبها:

إن النصف الأول من القرن العشرين هو عند الغربيين " عصر البنية" كما كان القرن التاسع عشر عندهم" عصر التاريخ"، وكان مفهوم البنية، كما تصوروه قد ساد جميع التصورات العلمية. وكان ذلك في الواقع ردّ فعل على استبداد النظرية التاريخية التي طغت على جميع الدراسات وجميع الميادين العلمية. أما فيما يخص اللغات البشرية فأول من دعا إلى الاهتمام بدراستها من حيث هي أي كأنظمة وفي وقت معين من تطورها هو، كما رأينا، فرديناند دي سوسور. أما الذين تبعوه في ذلك فهم الذين كونوا حلقة براغ اللغوية المشهورة [1]. وأصحابها هم أولو من جعل الوظيفة الأساسية للغة وهي التبليغ والبيان (Communication) المقياس الوحيد في تفسير الظواهر اللغوية (حتى الزمانية منها). وقد تابعتها في ذلك المدرسة الوظيفية الفرنسية التي لا تزال يتزعمها أندرى مارتيني والمدرسة الدانماركية المشهورة التي تزعمها اللغوي العبقري لويس همسليف[2].

---

1) وكذلك مدرسة جونيف كما سنراه.

2) ولكل واحدة منها أتباع كثيرون في مختلف البلدان وقد وجد منهم في المغرب العربي أيضا.

أ) النزعة البنوية الوظيفية: الوظيفة البيانية كأساس للتحليل

1- حلقة براغ والفونولوجية:

أسست حلقة براغ اللغوية في عام 1926 على يد جماعة من اللغويين التشيكيين كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وكتب لهذه الحلقة العلمية الشهرة والذيوع بدخول ثلاثة لغويين فيها من أصل روسي،وذلك في عام 1928 وهم الأمير الروسي نيكولاي تروباتزكوي (Nicolas Trubetzkoy) وورومان ياكوبسون (R.Jackobson) وكرسيفسكي (Kruszewski).[3]

وقد سبق أن ذكرناهم أيضا أن اشتهار هذه الحلقة بدأ يوم قدّم هؤلاء العلماء الثلاثة بيانا هاما إلى العلماء الذين شاركوا في أول مؤتمر دولي للغويين (في لا هاي سنة 1928). وكان قد حرر ياكوبسون مجموعة من المبادىء لدراسة أصوات اللغة ووقع عليها رَفيقاه وسموا العلم الجديد بالفنولوجية تمييزا له عن الفونتيك وهذه التسمية الأخيرة هي التسمية التي اشتهرت قبل ذلك للدلالة على علم الأصوات اللغوية وسنرى بالتفصيل بماذا امتازت الفنولوجية عن هذا العلم في نظر هؤلاء.

(3) تابع كرسيفسكي دروس سوسور في جنيف من 1906 إلى أن توفى سوسور ونقل بعده رجوعه إلى موسكو كل الأفكار التي أخذها عن شيخه إلى تروباتسكو وياكوبسون بالخصوص ويعترف هؤلاء بأخذهم الكثير من أفكار سوسور وأخذهم بأفكار غيره وذلك مثل بدوان دى كروتوني ولا سيما تلميذه كروسيفسك (Kruszewski) وهو غير كرسيفسكي رفيق تروباتزكوى.

بعض المبادىء التي اقترحت في مؤتمر لا هاي :

- الاقتراح22:" إن الوصفَ العلمي للأصوات الخاصة بلغة من اللغات يجب أن يشمل قبل كل شيء، الميزة التي يمتازها نظامها الفنولوجي أي المجموعة الخاصة بهذه اللغة من الميزات التي تتمايز بينها الصور الحركية الصوتية [4] فيها مما لها دور في التمييز بين المعاني".

" والذي نرجوه هو أن يحصل تحديد أكثر دقة لأنواع هذه الميزات. ومن المفيد أن ينظر إلى السلاسل المتناسبة الفنولوجية (Corrélations phonologiques) كفئة قائمة برأسها من التمايز. فالمتناسبة الفنولوجية تتكون من سلسلة من المتقابلات الزوجية تشترك" في ميزة واحدة يمكن أن ينظر إليها بمعزل عن كل زوج من الوحدات المتقابل"[5].

ويواصل المحررون لهذا النص قائليين:" وهناك نوعان أساسيان من التمايز. وهما: التمايز بين الصور المنفصلة والتمايز بين الصور المتناسبة، فإن شعر الناطقون بوجود تناسب بين الصور فليس ذلك إلا لوجود سلسلة من المتقابلات الزوجية من نفس الطراز. وفي هذه الحال يستطيع الشعور اللغوي أن يجرد الحد الثالث(= حد المفاضلة) للأزواج المحسوسة(ص34).

ففيما يخص النظام الفنولوجي الروسي ففيه المتناسبات الآتية: الصوامت المجهورة/ الصوامت المهموسة والصوامت اللينة/ الصوامت الجامدة" والمصوتات ذات النبر الحركي المصوتات بدون نبر"(ص34)

4) images acoustico-motrice وهي الأحداث الصوتية أو الفونيمات. هذه تسم لسوسور ولم يكتب لها البقاء وقد استعمل كلمة(Phonème).لكن لم يحصرها في المعنى المتفق عليه اليوم. .

5) وقائع المؤتمر الأول للغويين، لا هاى 1928، ص33.

ففيما يخص النظام الفنولوجي الروسي ففيه المتناسبات الآتية: الصوامت المجهورة/ الصوامت المهموسة والصوامت اللينة/ الصوامت الجامدة" والمصوتات ذات النبر الحركي المصوتات بدون نبر"(ص34)

ماهية الفونيم:

يعنى أصحاب هذا القول أن كل نظام صوتي في أي لغة كان يتكون من وحدات صوتية تحدد هويتها بمجموعة من المميزات لا أي مميزات بل تلك التي تساهم وحدها أو مع غيرها في التمييز بين معاني الكلم وهذه الصفات المميزة بين معاني الكلم هي التي يجب الاعتداد بها في التحليل لأنها هي التي تساهم في البيان عن المعاني أما غيرها من الصفات فليس لها هذا الدور.

ومن ثم نشأ مفهوم الفونيم أو الوحدة الصوتية اللغوية فهو عندهم وكما يقول ياكوبسون:" مجموع أو حزمة (Set أو Bundle) من الصفات المميزة (أو العناصر التفاضلية على حد تعبير سوسور: Eléments différentiels) [6] وأول من دعا إلى تحديد الفونيم بالوظيفة التي وضع من أجلها وهي التمييز هو ترويباتسكوي. قال: إن الفونيم هو وحدة وظيفية قبل كل شيء" (المبادىء، ص(43). ويقول أيضا: " يجب على الباحث الفونولوجي أن لا يعتبر في اللفظ إلا ما يؤدي وظيفة معينة في اللسان (نفس المصدر، ص12).

وعلى هذا فالوحدة الصوتية ليست صوتا في ذاتها إنما هي كيان مجرد[7]. فحرف الجيم مثلا في العربية هو جملة الصفات الذاتية التي يتحدد بها ويتميز بها عن غيره

6) انظر "دروسه" ص83.

7) أول من كان له هذا التصور من الغربيين هم جماعة كثيرة من اللغويين ككروسفسكى وشيخه بد وان دى كورتيني وسويت الانكليزي ونورين السويسري وغيرهم وكلهم معاصرون لسوسور، وكان بعضهم يميل- مثل سوسور- إلى تحديد الفونيم كوحدة صوتية نفسية (سيكولوجية) ولهذا كثر عندهم إطلاقهم " الصورة الصوتية الذهبية أو النفسية" على هذه الوحدة.

فمقصود هم من المساهمة في التمييز بين معاني الكلم وهو دور الفونيم الأساسي هو التأكيد على أن الفونيم (أو الحرف الصوتى في الاصطلاح العربي القديم) غير أنواعه الأدائية وهو مهم جدا عندهم وكان ذلك ردّ فعل على التخليط الذي كان سائدا عند اللغويين التازيخيين بين الحرف و مختلف وجوه تأديته. وهذا الموقف ناتج عما أثبته سوسور من الفصل الصارم بين اللغة، فيما يخص الأصوات مثلا، كنظام وكصورة وبين الكلام لتأدية لهذا النظام في واقع الخطاب[8]. إلا أنهم زادوا على ذلك أنّ النظام اللغوي لا يتحدد إلا بهذا الدور الذي يقوم به الفونيم وهو التمييز بين الكلم وهذا لا يتم إلا بتحديد المميزات الصوتية التي بها تتمايز معاني الكلم فجعلوا مقياس التمييز ومن ثمّ وظيفة البيان هو الأساس في الدراسة العلمية للألسنة البشرية[9].

هذا وقسموا هذه الوجوه في الأداء إلى:

-تنوّع حر(Variante libre)

---

8) ومن البيّن أن هذا التصوّر ناتج عن تصوّر الفلاسفة ولا سيما أرسطو في تقسيمهم لكل محسوس إلى مادة وصورة. فلا غرابة أن نجد عند الفلاسفة العرب تحديدات قد تفاجيء اللغوي الأروبي لأنها سبقت تروبا تسكوي بعشرة قرون وذلك كتحديد ابن سينا للحرف فهو عنده:" هيئة عارضة للصوت يتميز بها عن صوت آخر في المسموع...(أسباب حدوث الحروف، طبعة دمشق ص60). أما القراء فقد نجد عندهم أيضا هذا التمييز واضحا وهم لا يدينون بشيء من ذلك للفلاسفة والدليل على ذلك هو عدم استعمالهم في الأكثر للتقابل بين الصورة والمادة. جاء مثلا في النشر لابن الجزرى ما يلي:" أما نحو اختلاف الاظهار والادغام والروم والإشمام... فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى لأن هذه الصفات المتنوعة في أداء اللفظ لا تخرجه عن أن تكون لفظا واحدا (26/1) وقال أيضا: وقطعه بتواتر الاختلاف اللفظي دون الأدائي "(30/1).

9) لم يذكر سوسور هذا الذي زادوه وهو عند البنويين الوظيفيين المقياس الأساسي في تحليل اللغة ووصفها أي الوظيفة التمييزية (Fonction distinctive) ويعتبر مونان هذا نقصا في تقويمه لأعمال سوسور وليس الأمر كذلك.

- تنوع تركيبي (V.combinatoire) وعند علمائنا بدل ضروري أو واجب[10].

وينقسم التنوع الحر إلى تنوّع لهجي وتنوّع فردي (V.dialectate/ V.individuelle) أما التنوّع اللهجي فهو اللغات (من حيث النطق) عند علمائنا وأما التنوّع الفردي فهو إما أسلوبي (Stylistique) وإما انحراف خاص بالأفراد وهو اللثغة عند العرب قديما.

كل هذا يخصّ ماهية الفونيم بالنسبة إلى المحور الاستبدالي

(Axe paradigamatique) وقد سبق أن ذكرناه (عند تعرضنا لآراء سوسور). أما في المحور الأفقي أي المحور التركيبي (Axe syntagmatique) فهو عندهم: "أصغر وحدة صوتية ينتهي إليها التحليل".

الفونيمات ووجوه تأديتها.

وضع تروبا تزكوى بعض القواعد ليسهل على الباحث التمييز بين الوحدات الفونيمية وبين ما هو تأديه لها فقط [11].

القاعدة الأولى: إذا جاء صوتان مختلفان من نفس اللغة في سياق واحد من الحروف لا فرق بينهما ويمكن مع ذلك استبدال احداهما من الآخر دون أن يحصل أي تغيير في المعنى المفهوم من الكلمة فهذان الصوتان هما وجهان اختياريان لفونيم واحد. (مبادىء الفونولوجية، ص(47)

10) انظر شرح ابن يعيش:ج: 10 ص9-10 وسر صناعة الأعراب لابن جني I، ص78.

11) جاء ذلك في كتابه الحافل (Grundzuge der phonologie) نشر بعد وفاته في 1939 في الجزء التاسع من أعمال حلقة براغ. صار هذا الكتاب عزيزا جدا حتى في المكتبات العامة ولهذا رجعنا إلى الترجمة الفرنسية التي نشرها العالم الكبير جان كانتينو في 1949.

يعني أن الوحدة الصوتية الواحدة قد تتحصل ههنا بكيفيتين ولا أثر لذلك في معنى الكلمة وذلك مثل حرف R بالفرنسية الحديثة فإن بعض الناطقين الفرنسيين الفصحاء ينطقون بها مثل الراء العربية (وهو النطق الفرنسي الأصلي القديم) وأكثرهم مثل الغين العربية. فهما صوتان مختلفان وحرف واحد في الفرنسية حاليا إذ لا يتغيّر المعنى بوقوع أحدهما مكان الآخر. وكل وجه منهما يسمى عند العلماء الأوروبيين كما سبق أن قلنا variant و(allophone عند الأمريكيين)[12].

القاعدة الثانية: إذا جاء صوتان في نفس الموقع الصوتي ولا يمكن أن يستبدل أحدهما بالآخر دون أن يتغيّر معنى الكلم أو دون أن تصبح الكلمة غير معروفة فهذان الصوتان هما تأديتان لفونيمين اثنين مختلفين أي هناك صوتان مختلفان مثل السابق لكنهما يمثلان حرفين مختلفين مع ذلك لتغيرّ المعنى بهما. (ص49-50).

وذلك مثل الراء والغين في العربية فهما صوتان مختلفان وحرفان مختلفان إذ يتغير معنى الكلمة باستبدال أحدهما بالآخر. فكلاهما فونيم على حدة في العربية.

القاعدة الثالثة: إذا كان صوتان متقاربان مخرجا أو صوتيا لا يقعان أبدا في نفس السياق من الحروف فهما تأديتان تركيبيتان لفونيم واحد.

يعني تروبا تزكوى أن الوحدات الصوتية قد تختلف تأديتها إذا جاورت حروفا معينة وذلك مثل أصوات الحركات في العربية إذا جاورت حرفا مفخما، فصوتها يكون مفخما دائما في جوارها ومرققا في غير هذا الموقع. فلا يقع المفخم منها في موقع غير المفخم أبدا (إلا في لفظ الجلالة في غير جوار الكسر) وهذان الصوتان مع ذلك، لا يغيران المعنى لأنهما ناتجان عن تركيب الأصوات فتؤثر بعضها في بعض للجوار (على حد تعبير علمائنا).

12) ويسمى عند العرب قديما كما قلنا وجها، وإذا كان خاصا بإقليم أو بقبيلة فلغة. أما النطق بالحروف فهو عندهم تأدية وتحصيل.

ويذكر بعد ذلك قاعدة رابعة تخصّ الأصوات التي لا تقع أبدا في سياق واحد ولكنها قد يجاور أحدهما الآخر فلا يمكن أن يعتبر هذا بدلا من ذاك إطلاقا.

الخلاصة: وعلى هذا الأساس ينبغي أن نميز بين الصوت والمخرج من جهة وبين الوحدة الصوتية التي يسمونها فونيما. فالصوت المنطوق به المسموع هو ناتج عن كيفية معينة في تأدية وحدة صوتية في وقت معين. وهناك كيفيات لا تحصى حسب الأقاليم واللهجات وحسب الأفراد بل وحسب الفرد الواحد لأنه لا تثبت أحواله في مخاطباته مع غيره على حالة واحدة في حياته اليومية (الأحوال النفسية خاصة).

وقد سموا الصفات المميزة لكل حرف: Distinctives Features أو Traits pertinent وكل ما هو Relevant أو Pertinent فيطلق عندهم على المميزات المعتبرة في التحليل أي التي لها وظيفة التمييز بين المعاني ولهذا يقال لها أيضا: Fonctionnel = " وظيفي" بهذا المعنى ليس غير.

وكروسفسكى هو أول من دعا إلى التمييز بين دراسة الأصوات اللغوية في ذاتها الفسيولوجي والفيزيائي وبين وظائف هذه الأصوات بالمعنى الذي سبق أن حددناه. [13] واختاروا لفظة Phonétique(أو Phonetics بالانكليزية) لدراسة الأصوات اللغوية من حيث كيفية حدوثها في المخارج ومن حيث كونها ظواهر اهتزازية لها قوانينها مثل كل الأصوات ومن حيث أنها ظواهر تخصّ السمع وأطلقوا لفظة Pho-nologie (حلقة براغ Phonemic عند الأمركيين) على دراسة الأصوات

13) وقد أوحى هذا الرجل لشيخه بدوان دى كورتنى حسب ما يصرّح بذلك يا كوبسون) الكثير من المفاهيم اللغوية (وكذلك إلى سوسور كما يزعمه ياكوبسون وذلك مثل المحورين التركيبي والاستبدالي).

اللغوية لا كأصوات بل كوحدات لغوية لها تلك الوظيفة التمييزية[14]. ويقول ترويا تزكوي بهذا الصدد:" ولهذا ينبغي أن ننشيء لا علما واحدا لأصواتاللغة بل علمين: يكون موضوع الأول فعل الكلام وموضوع الآخر اللغة. فكما أن موضوع كل منهما مختلف عن الآخر، فكذلك يجب أن يلجأ في كل منهما إلى مناهج للعمل العلمي تختلف كل الاختلاف:

فإن علم أصوات الكلام المنطوق بما أنّه يعالج ظواهر طبيعية ملموسة فيجب أن يلجأ إلى مناهج العلوم الطبيعية. أما علم أصوات اللغة فإنّه يجب أن يلجأ إلى مناهج لغوية محضة ونفسانية واجتماعية. (المبادىء،ص 3).

ثم إن نزعة سوسور (وكل من كان يشاركه في نشرته) إلى اعتبار الفونيم كظاهرة نفسانية محضة (الصور الذهنية) قد استبدلها تروبا تزكوى بالنظرة الوظيفية هذه فمنح بذلك للدراسة الفونولوجية استقلالها فجعلها قسما قائما برأسه في اللسانيات الحديثة.

تصنيف أنواع (المتقابلات أوالمتباينات الفنولوجية)[15]

جاء في نص المبادىء (التي قدمت لمؤتمر لا هاي) السابق الذكر أنه يجب أن ينظر في " السلاسل الفونولوجية المتناسبة (Corrélations phonologiques) وهو في الحقيقة نوع من أنواع التقابل الفونولوجي. وقد عالج هذا الموضوع

تروباتزكوى أيضا في كتابه المشار إليه (ص 69-77) فقسم هذه المتقابلات هكذا:

(14) يسمى سوسور بـ Phonétique الدراسة التاريخية للأصوات اللغوية ويسمى الدراسة الوظيفية الآتية Phonologie وليس له أية تسمية للدراسة الوظيفية ولم يذكر لفظة الوظيفة قط بهذا المعنى. وهذا دليل على براءة سوسور من مبالغات البنويين الذين اتبعوه لا على نقص في فهمه للظواهر اللغوية.

15) Oppositions Phonologiques. وليس هو التقابل الرياضي الذي هو تناظر بل مجرد تباين تتميز به الأشياء.

1- بحسب علاقاتها بجميع التقابلات الموجودة في النظام الصوتي:

* تقابل ذي طرفين (Bilatéral): هو الذي لا يوجد مثل قدره المشترك في النظام وذلك مثل: G/K في الفرنسية والإنكليزية إذ يشتركان في المخرج وهو مؤخر أو وسط الحنك ولا يوجد أي حرف آخر من هذا المخرج في هاتين اللغتين وتقابلهما يحصل بالجهر وعدمه وكذلك الميم والنون في العربية : يشتركان في الغنّة هما فقط (وتقابلهما في المخرج، شفوي/ نطعي).

* تقابل متعدد الأطراف (Multilatéral): هو الذي يكون قدره المشترك موجوداً في أكثر من حرفين وذلك P/K في الفرنسية والإنكليزية لأنه يشتركان مع T، مثلا في الهمس وكذلك الذال والثناء في العربية والإنكليزية لأنهما يشتركان في اللثوية وكذلك في الظاء العربية القديمة [16] وقد يوجد من الحروف ما لا يدخل في تقابل بينه وبين حرف آخر من هذه الحيثية ويلاحظ تروباتزكوى بهذا الصدد أنّ تقابل ذا الطرفين أقل بكثير من متعدد الأطراف[17].

2- بحسب تناسبها فيما بينها وعدم تناسبها:

* متقابلات متناسبة (Proportionnelles) إذا تكرر الفارق بين تقابل وآخر حصل تناسب وذلك مثل: $\frac{Z}{T} = \frac{G}{S} = \frac{D}{K} = \frac{B}{P}$ في الفرنسية والإنكليزية

والجامع بينها هو : الاختلاف جهر همس، وهذا موجود في أكثر اللغات (إذ تشترك المتقابلان في فارق واحد).

16) ولاحظ ذلك سيبويه في الضاد فقال:" لولا الإطباق... لخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها غيرها (الكتاب، 2/406).

17) وقسم أيضا المتعدد الأطراف إلى منسجم وغير منسجم ثم إلى متسلسل وغير متسلسل وفي ذلك شيء من التفنن الزائد على اللازم.

* متقابلات لا تناسب بينها (Isolées): إذا انفرد التقابل وليس بينه وبين أي تقابل آخر تناسب. وذلك مثل P B P وغيرها فكل هذه المتقابلات منفردة لا
L Z G

تناسبها تقابلات أخرى في الكثير من اللغات.

ملاحظات: - قد تكون بعض المتقابلات ذات طرفين ومتناسبة في نفس الوقت وذلك B و P في الفرنسية والإنكليزية كما مرّ وهي متناسبة من حيث الفارق : جهر / همس فيها يتكرر كما رأينا. وكذلك الغين والخاء والعين والحاء في العربية. لكل تقابل فيها مخرج لا يخرج منه إلا هذا والفارق: جهر/ همس متكرر فيها.

- وقد تكون ذات طرفين ومنفردة وذلك مثل العين والحاء في العربية: قدرهما المشترك مخرج وسط الحلق لا يخرج منه إلا هذان الحرفان وليس الفارق بينهما موجودا في متقابلات أخرى في العربية (العين بين الرخوة والشديدة ففيها انقباض وانبساط للحلقوم لا وجود له في الحاء) (18).

- ثم هناك متقابلات متعددة الأطراف ومتناسبة مثل المتناسبة P و T في الفرنسية والإنكليزية: فشدتها (occlusion) موجودة في K، أما الفارق: شفوية نطقية فهو موجود أيضا في B بالنسبة إلى T.

- كما توجد متقابلات متعددة الأطراف ومنفردة وذلك مثل الواو والياء والواو المشربة كسرا في الفرنسية:" فقدرها المشترك وهو كونها نصف مصوت، يتجاوز الإثنين".أما الفارق: من الشفتين/ من وسط الحنك فلا يوجد في غيرها من المتقابلات.

18) كما تبيّنه الأفلام الراديولوجية والجهر/ همس غير كاف للتمييز بينها. وقد جعل الخليل وسيبويه العين بينية وهو من أعظم اكتشافاتهما.

3- بحسب العلاقات القائمة بين طرفي التقابل

إن العلاقات السابقة تخص النظام الفونولوجي ككل. أما هذه التي سنتطرق إليها فتخصّ الفونيم في داخل تقابله مع غيره. وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: تقابل مانع (privatif) وتقابل متدرج (graduel) وتقابل متعادل(équipollent)

أو منفصل (disjoint).

* التقابل المانع: يقوم على وجود صفة مميزة في طرف وعدم وجودها في الطرف الآخر. وذلك كالجهر وعدمه في الذال والتاء والغنة وعدمها مثل الميم والباء والإطباق وعدمه مثل الصاد والسين وغير ذلك.

وهذا النوع يقتضي أن يكون الحرفان المتقابلان متفقين إلا في وجود صفة واحدة في أحدهما وعدم وجودها هي نفسها في الطرف الآخر كما مثلنا.

* التقابل المتدرج: يقوم على الزيادة والنقصان في الصفة نفسها وذلك مثل المصوتان: فهناك تقابل بالزيادة في الانفتاح في العربية من الكسر إلى الفتح وبالنقصان من الفتح إلى الكسر، فالفارق بينهما متدرج من الانفتاح التام إلى الانغلاق الأقصى والعكس. وفي الفرنسية يوجد هذا التدرج المتسلسل في :a- ٤ -e-i (الفتحة المحضة- الفتحة الممالة إمالة خفيفة- الفتحة الممالة إمالة شديدة- الكسرة المحضة [19]. وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى العربية إلا أن الإمالة فيها لهجية فلا تقابل وظيفي يحصل عليها [20].

19)هذا في اصطلاح علمائنا.

(20)الأول: ملاحظات في التطور الفونولوجي الروسي" صدر في مجموعة أعمال حلقة براغ (1929

أما سلسلة: u-o-a-a في الفرنسية فالتدرج يجري من الفتح التام إلى الفتح المفخم إلى الضم المفخم إلى الضم المرفق وكل هذه المصوتات فونيمات في هذه اللغة وبعضها هو مجرد أداء في العربية.

* التقابل المنفصل: هو الذي ليس لطرف فيه فضل على الطرف الآخر فالفوارق فيه تكاد تكون متعادلة ،لهذا سميّ منفصلا لأنه يستقل عن جميع المتقابلات وذلك ك P بالنسبة إلى T أو F وبالنسبة إلى K في الإنكليزية والفرنسية والباء والسين أو العين في العربية.

- السلاسل المتناسبة والحزم

إن مجموع المتقابلات التي يكون بينها نسبة واحدة كما رأينا، تكون في اللغة ما يسمى بالسلسلة المتناسبة وذلك كالنسبة جهر/ همس في أكثر اللغات والنسبة : غنّة/ عدم الغنة في المصوتات الفرنسية.

ثم هناك متناسبات ذات ثلاثة أطراف وحتى أربعة أطراف وتسمى كل واحدة منهاحزمة bundle = faisceau وذلك مثل ما في الفرنسية والإنكليزية.

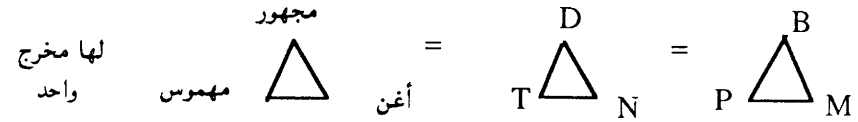

وبالنسبة للعربية:

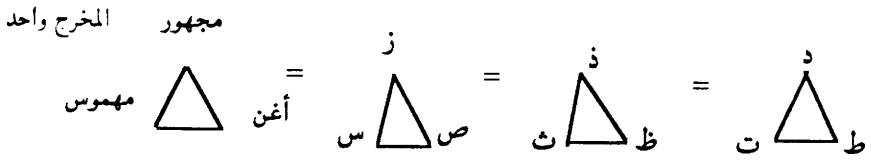

مفهوم الإلغاء (Neutralisation) ومفهوم الفونيم الجامع (Archiphonème)

إن التقابل الوظيفي بين حرفين إذا وجد مرة فلا يزول مهما كان موقعها في الكلمة وهذا هو الأصل في الفونولوجية وأغلب المتقابلات هي ثابتة في الكلام. إلا أنه قد لوحظ أن بعض المتقابلات في لغات معينة يزول تقابلهما إذا وقع أحد الحرفين في بعض المواقع من الكلم. وذلك مثل المتقابلة e/ ٤[21] في الفرنسية فقد لا يحصل هذا التقابل إلا في المقاطع المفتوحة (المنتهية بمصوت) في آخر الكلمة مثل: Les/ laid وأما في غيرها فيزول التقابل وتلتبس e بـ ٤

مثل : Fermer ففي هذا الموقع المصوت هو دائما مصوت مغلق وكذلك في غير الموقع الذي ذكرناه. ومثل المتقابلات: شديد مجهور/ شديد مهموس في الألمانية (وكذلك الروسية) فإنها تزول في أواخر الكلم بجعل المجهورة كلها مهموسة في هذا الموقع كـ: Rat/ Rad ينطق بهما Rat.

يمكن أن يطرح السؤال التالي: إذا حصل إلغاء التقابل بين حرفين فكيف تتم تأدية الحرف الناتج عنهما ؟ فهنالك ثلاثة أحوال:

1- الحالة الأولى: ينتج عن ذلك حرف ثالث وذلك مثل الحروف المجهورة G و D وB. في الانكليزية وهي دائما ضعيفة الضغط ومقابلها المهموسة P و T و K وهي قوية فإن هذا التقابل يزول إذا وقعت بعد S وينطق بها جميعا مهموسة ضعيفة وهو خليط بين الجهر الضعيف عندهم والهمس القوي

---

21) في اصطلاحنا: فتحة ممالة بالتمام/ فتحة ممالة جزئيا ويسمى الأول مصوتا مفتوحا والآخر مصوتا مغلقا في اصطلاح الغربيين.

2- الحالة الثانية: تؤدي جميع الحروف المتقابلة بعد زوال التمايز بحسب الموقع في داخل الكلمة، فالتقابل بين السين والشين في الألمانية يلغى دائما إذا وقعا قبل حرف صامت إلا أن الفونيم الجامع الناتج من هذا الإلغاء يؤدي شينا في بداية الكلمة مثل Stadt (شتاد) ويؤدي سينا في وسط الكلمة مثل Last (لاست).

3- الحالة الثالثة: يتغلّب أحد المتقابلين على الآخر بعد الإلغاء في موقع من الكلمة مع بقاء التقابل في موقع آخر وذلك مثل D و T في الألمانية في آخر الكلمة. يصير كل D مثل T تماما ويبقى التمايز بينهما في غير هذا الموقع.

أنواع الإلغاء:

يقول تروباتزكوى: لا بدّ من التمييز بين أنواع الإلغاء التي يسببها السياق وبين التي تسببها بنية الكلمة أي بين الإلغاء لتقابل فونولوجي يقع طرفاه في جوار حروف معينة أو بمعزل عن الحروف المجاورة لهما أي في مواقع معينة في داخل الكلمة (المبادىء ص 247).

ويواصل قائلاً: " وتنقسم أنواع الإلغاء المسبب بالسياق إلى تبعيدية (dissimilatifs) وتقريبية (assimilatifs) وهذا بحسب ما يحصل من التباعد أو التماثل بالنسبة إلى الصفة المميزة الخاصية صوتية معينة فلا بدّ بحصول الإلغاء التبعيدي أن يتّصف الحرف المجاور بهذه الصفة .وأما الالغاء التمثيلي فلا يحصل على العكس إلا في جوار الحروف التي ينقصها هذه الصفة"(147-248).

يريد تروباتزكوي أن يربط بين بعض الظواهر الصوتية كالإبدال (التقريبي والتبعيدي) بما سماه بال Neutralisation أو الإلغاء التقابل لعارض من العوارض. فيطلق على الإلغاء الذي يكون ناتجا عن هذا الإبدال بهذه التسميات التي تنتمي إلى الصوتيات غير الوظيفية. إلا أنه [illegible] أيضا- وهذا مهم- أنّ التقابل قد يزول بسبب آخر لا يقل أهمية عن الجوار وهو الموقع داخل الكلمة.

أما الإلغاء بسبب الجوار المؤدي إلى اتحّاد الحرفين أو اختلافهما فكثير ولا سيّما في العربية وقد تعرض لذلك علماء اللغة منذ القديم. ومثال ذلك إبدال التاء دالا في ازدجر أو طاء في اضطراب فالجوار هو سبب تقريب من الدال حتى يزول الفارق بينهما. ولا بد من التنبيه لا ها هنا أن العوارض الصوتية مثل التقريب كموضوع دراسة هو قسم قائم برأسه في الصوتيات والفونولوجية لا تلتفت/ إلى ما يكتشفه هذا العالم إلا من خلال الوظيفة التمييزية.

2) الفونولوجية والوظيفية بعد تروبا تزكوي:

قد سبق أن ذكرنا ما كان لرومان ياكوبسون من دور كبير في اشتهار حلقة براغ وتأسيسه مع تروبا تزكوى للفونولوجية (فهو الذي حرر المبادىء التي قدمت لمؤتمر لاهاي ووافقه عليها رفيقاه) [22]. وعمرّ هذا الرجل العبقري فصدر منه الكثير من الأفكار العلمية العميقة بعد وفاة رفيقه الأمير تروباتزكوى في 1939 [23]. ومساهمته في تعميق النظرية اللسانية الجديدة لا يضاهيها إلا ما صدر من الزعماء الكبار للمدرسة البنوية.

أما فيما يخص الفونولوجية فزيادة لما ذكرناه فإنه أول من بيّن من البنويين عدم التعارض بين الدراسة الآنية والدراسة الزمانية. وأن الفونولوجية التاريخية دورا هاما ولم يسبقه إلى ذلك أحد فقد حرر في 1928 (سنة انعقاد مؤتمر لاهاي) ثم في 1929

---

22) هذا ينبغي ألانحط من قيمة ما أنتجه رفقا ؤه غير الروسيين من حلقة براغ مثل Vachek وHavranek و Trnka ومن جاء بعدهما من الشيكيين.

23) إلتجا ياكوبسون إلى الولايات المتحدة الأمريكية في 1941 وأنشأ في نيويورك حلقة نيويورك اللغوية وكذلك مجلتهما المشهورة الملقبة بـ Wordوذلك في 1945 وصار أستاذا في جامعة كولومبيا في هذه المدينة وانتقل في 1949 إلى جامعة هارفارد ودرّس ابتداء من 1957 بالمعهد الكبير المسمى بـ M.I.T ولهذا الحادث أثر كبير كما سنراه في اللسانيات الأمريكية. وإنتاج ياكوبسون العلمي عظيم فقد نشر مالا يقل عن 475 دراسة بين مقالة وكتاب.

مقالين هامين [24] بيّن في مقدمتهما أنّ التحولات الصوتية لا تصيب الأصوات اللغوية منفردة بل في داخل النظام الذي تندرج فيه ولا بدّ أن يتغير النظام كلّ بتحول فونيم واحد. وعلى هذا الأساس فإن النظرتين التاريخية والوصفية غير متعارضتين لأن التعارض الحقيقي يكمن في النظر إلى الظواهر منعزلة مفككة والنظر إليها ككل. أما التتبّع التاريخي لها فكالتصفح لها في زمان واحد من حيث صحة المنهج [25] وقد حاول أن يدلي ببعض ملاحظة في تحوّل اللغات عبر الزمان:

1) التحوّل قد يصيب تنوّعات الفونيم الأدائية فلا يكون فونولوجيا إذ لا يتغيّر بذلك النظام. 2) أما إذا كان فونولوجيا فإما أن يتحوّل الاختلاف بين وجهين من الأداء بالنسبة لحرف واحد إلى تقابل فونولوجي أي تقابل وظيفي وهذا يسميه Pho-nologisation = تحول إلى تقابل أو العكس أي أن يتحوّل التقابل الفونولوجي إلى اختلاف أدائي فهو عنده Déphonologisation = تحول إلى تنوّع أدائي وإما أن يتحوّل التقابل المعين إلى تقابل أخر فهذا عنده Rephonologisation (تحوّل التقابل). ويمكن أن نمثل لذلك بما جرى من التحوّلات في العربية: فأما النوع الأول فقد ذكر سيبويه عددا كبيرا من الوجوه التي سماها بالمستحسنة كألف التفخيم وأنواع الأمالة وغيرهما فهما تنوعات اقليمية طرأت في زمان معين في بعض اللهجات وأما النوع الثاني: فمثل تفخيم الألف أو ترقيقها في بعض الكلمات المعربة في لهجة الجزائر الحالية (كاز في مقابل كاز بالتفخيم فالأول معناه النفط والثاني معناه الغاز) وكذلك هو الأمر في اختلاف الرأي المرقق والمفخم وهو تنوّع أدائي في العربية فصار في المشرق تقابلا مثل:" ظهر في مقابل زهر" أما الثالث فمثل الطاء القديمة (كما وصفها

24) الأول : ملاحظات في التطور الفونولوجي الروسي (صدرفي مجموعة أعمال حلقة براغ 1929) ج2) والثاني:"مبادىء الفونولوجية الدياكرونية، صدر في نفس المجموعة (1931) ج4) وكملحق في كتاب تروباتزكوى (1949).

25) هذا في تفسيرنا ونعتقد أنه يطابق ياكوبسون. ولم يفهمه هكذا العلماء الذين جاؤوا بعد سوسور

سيبويه بالجهر) في مقابل الدال: تحوّل هذا التقابل إلى التقابل آخر: تاء مفخمة/ دال مفخمة (= الطاء الحالية/ الضاد الحالية) [26].

وسنرى ماليا كوبسون من أفكار فيما يخصّ الظواهر اللغوية غير الصوتية فيما بعد إن شاء الله.

أما فيما يخص الفونولوجية التاريخية فقد ألف أندرى مارتين الفرنسي كتابا حافلا حول ما أسماه بـ" اقتصاد الحوّلات الصوتية" [27]. يصرّح في هذا الكتاب أنه ينوى أن يفسر هذه التحوّلات ولا يكتفي بوصفها كما فعله ياكوبسون. وبنى كل هذه المحاولة على مبدأين طبيعيين متضادين وهما أول ما يقتضيه الخطاب من البيان والوضوح، وثانيا ما تقتضيه طبيعة كل كائن حي من الاكتفاء بالقليل من المجهود لتحقيق غرضه: والمجهود هنا هو الذي يبذله المتكلم في التلفظ، وهو ما يسميه العلماء في زماننا بقانون الجهد الأقل principe du moindre effort.[28] وسمي مارتيني المبدأ الأول " بالإقتصاد" Economie (اقتصاد، ص 94)(أخذ هذا اللفظ

---

26) وهذا سببه القريب عندنا: تحول الضاد القديمة (الصعبة النطق عند من كانت لا توجد في لغته) إلى دال مفخمة في الأكثر فصارت تزاحم الطاء القديمة المجهورة فلتجنب اللبس تحوّلت الطاء إلى حرف مهموس (من نفس المخرج= تاء مفخمة). فهذه الأمثلة من العربية ولهجاتها وتفسير تحول الضاد والطاء لم يذكره علماء الفونولوجية.

27) Economie des changements phonétiques ، الطبعة الأولى سنة1955. هو اختصاص في اللغات الجرمانية واللسانيات وهو الذي أدخل دراسة الفنولوجية في فرنسا ودرّس هو أيضا في نيويورك بين 1946 و 1955.

28) انظر كتابه الذي سبق ذكره: ص 21 وص94. أول من سمى هذا المبدأ هكذا وأثبت وجوده ودوره هو جورج زيف الأمريكي (G.Zipf) إلا أن الفكرة قديمة وخاصة فكرة التعارض بين هذا المبدأ ومبدأ ضرورة المحافظة على وضوح الخطاب. فقد أطال فيه الكلام پول پاسي الفرنسي (في 1890) و عالج ذلك معاصراه : يسپرسن وسويت (Sweet - Jespersen). وذكر مونان أن بعض اللغويين في الدانمارك قد تكلموا أيضا عن هذا التعارض (انظر تاريخ علم اللغة في القرن العشري، ص 78- الأصل الفرنسي) (أو هذا التعارض هو مبدأ أساسي عند علمائنا منذ الخليل وسيبويه (الخفيف في مقابل الفرق. انظر الخصائص 1، 146-147.

من سويت المذكور سابقا). وذكر أيضا ما قاله پول پاسي عن هذا التعارض:" يميل الصوتات المتتاليان (في سياق الكلام) أن يتقرب أحدهما من الآخر... ويعارض هذا الميل الحاجة إلى إبقاء الاختلاف الذي له دلالة " ويضيف" ومن المعلوم أن هذا الإبقاء للعناصر الهامة لا يحصل بإرادة المتكلم...(اقتصاد مارتيني ص 43)[29]. وفضل مارتيني ههنا -زيادة على اعترافه بما جاء به سابقوه- هو تبيينه أنّ التقابل من الجهود المؤدى إلى - التماثل أو التجانس للأصوات **يقع دائما في درج الكلام أي في المحور التركيبي** (في اصطلاح اللسانيات).أما الضغط الآخر المعارض له **وهو المحافظة على العناصر وصفاتها التي لها دلالة فيقع في المحور الاستبدالي** أي في كل موضع من موضع مدرج الكلام حيث يمكن أن يستبدل عنصر بعنصر آخر من جنسه بحسب غرض المتكلم. فالاعتدال اللغوي في حالة زمانية معينة من تطوّر اللغة هو ناتج عن هذين الضغطين. يؤديه ذلك إلى أن يعد الاقتصاد- في آخر المطاف- لا كميل فقط إلى تقليل الجهود بل كحالة اعتدال واستقرار مؤقت تنتج عن التعارض لنفسهكما قلنا[30]

29) يقول مارتين: إن العدد مما يمكن أن تحدثه أعضاء النطق من الأصوات المختلفة هو نهائي نظريا إلا أن ما يمكن أن يضبطه الإنسان من هذه العمليات العضلية في مستوى اللسان أو الأوتار الصوتية هو محدود. أما السمع فهو يساهم بلا شك باستمرار بمساعدته الناطق النطق المناسب. ولكن حدة السمع التمييزية هي أيضا محدودة (اقتصاد، ص94-95). ويسمى مارتيني هذا العجز Asymétrie des organes أي عدم تطابق الأعضاء الناطقة ومعنى هدا أن التلفظ بكلمة تقتضي الانتقال من عضو إلى آخر يختلفان اختلافا كبيرا ويسمى ذلك أيضا Inertie des organes أي عدم استجابة الأعضاء (لأنها لم تخلق لهذا الغرض) اقتصاد، ص 95).

30) والجدير بالملاحظة أن مارتيني يحصر نظام اللغة كله (كسائر الوظيفيين) في المحور الاستبدالي وحده لأن المحور التركيبي (الأفقي) هو مجرد تسلسل الكلام المحسوس عنده وإن كان ضروريا لمعرفة التباين الأفقي (في تسلسل الكلام = Contraste فهو ثانوي عنده إذ جوهر النظام التمايزي ينتج من استبدال عنصر بعنصر آخر مقابل له Commitation. وهذا أكبر غلط ارتكبه الوظيفيون، كما سنراه، عند نقدنا لهذا المذهب.

وبذلك وفق مارتيني عندما دعا إلى اعتبار هذا الاعتدال لا كغاية يرمى إليها كل تطور لغوي كما كان يقول بذلك تروباتزكوى و ياكوبسون بل كنتيجة لتدافع القوتين الطبيعيتين المشار .إليهما وليس كغاية إذ الغائية (Théléologie) هو مفهوم غامض علميا أقرب إلى التأمل الفلسفي منه إلى العلم التجريبي (اقتصاد ص 17 - 18).

انسجام النظام الفونولوجي :

لقد بيّن تروباتزكوي (المبادىء 87 - 88) أنّ المتقابلات من الحروف قد يكون في بعضها نوع من الخفاء إذ لا تظهر الميزة لأول وهلة . وليست كذلك المتقابلات ذات الطرفين ك : P وB (لا يوجد في الفرنسية مثلا من الشفوية الشديدة غير الغناء إلا هذان الحرفان) لأنهما يشتركان في صفات لا توجد في غيرهما . فالميزة فيهما : جهر/ همس ظاهرة جدا فإذا تكررت هذه الصفة في المتقابلات المتناسبة كانت أكثر ظهورا . أما التقابل المانع فأوضح لأنهّ تقابل بوجود شيء واحد وعدم وجوده (B/ P هو أيضا تقابل مانع لأن هذين الحرفين لا يتميزان إلا بوجود صفة وعدمها) . وليس الأمر كذلك بالنسبة للتقابل المسمى عند الغربيين بالمنفصل أو المتعادل إذ لا يوجد بين المتقابلين إلا القليل من الصفات المشتركة كالعين والباء في العربية (كونهما حروفا جوامد فقط) . وكذلك هو التقابل غير القابل للإلغاء لأنه يقتضي أن تكون الحروف المتقابلة متقاربة جدا .

ويترتب على ذلك أن المتقابلات ذات الطرفين المتناسبة المانعة والقابلة للإلغاء هي التي يتّضح فيها التفاضل رالتقارب بين الحروف وبالتالي النظام الذي تنتظم فيه . وهذا بخلاف المتقابلات المتعددة الأطراف المنفردة ومن ثمّ غير القابلة للإلغاء

(المتقابلات ذات الطرفين هي وحدها قابلة للإلغاء) فلا يظهر فيها بوضوح الانتظام المبني على التفاضل والتقارب إذ قد لا تشترك إلا في صفة واحد عامة مثل كونها من المصوتات أو من الصوامت .

أما مايوجد بين هذين النوعين من التقابل الواضح وغير الواضح ففيه درجات فكلما كثر في النظام الصوتي التقابل الأول : **ذو طرفين متناسب مانع وقابل للإلغاء كان أكثر انسجاما** وبالعكس ، أو بعبارة أخرى : **كلما كثر في لغة من اللغات الأطراد بين الحروف من حيث الفوارق والجوامع كان النظام الصوتي فيها أكثر اعتدالا**. وهذا قد لا يلاحظ مائة بالمائة في أي لغة لأن التحوّلات الصوتية عبر الزمان - في اللغة المنطوقة - لا تبقي النظام على ماكان عليه .**تعميق مفهوم الإقتصاد في النظام الصوتي في المنظور السنكروني (الآني)**

إن الوحدات الصوتية ، كما هو معروف ، محصورة ومعدودة بخلاف الكلمات التي هي نتيجة لتراكيب هذه الوحدات فهي كثيرة جدا وعددها قابل للزيادة وما يتركب من هذه الكلمات من الجمل فلاحصر له .

فهذا يحصل منه اقتصاد عظيم جدا في التعبير عن الأغراض . فكيف يمكن أن يكتفي بعدد قليل من الحروف ولا تلتبس هذه الحروف بعضها ببعض . وقد أجاب الوظيفيون كل واحد (وعلماؤنا عن ذلك منذ القديم) بأنّ المخارج - وهي أقل عددا من الحروف - قد يخرج في كل واحد منها أكثر من حرف ويتميز كل واحد منها بصفات أخرى غير المخرج وهي الشدة والرخاوة واللين والجمود والجهر والهمس والتفخيم والترقيق كما هو الشأن في العربية) . وهذا هو معنى الاقتصاد أي الاكتفاء بالقليل من **العمليات المحدثة للحروف** (ومن ثم الاكتفاء بالقليل من الحروف) مع **إمكانية تغطية كل حاجات التعبير.**

- الاقتصاد وكيفية اشتراك الصفات المميزة في الحرف الواحد

فالسرّ في قلة المؤونة وتكاليف التعبير (بالقياس إلى عظمة الإفادة) يمكن ، كما رأينا ، في كيفية اشتراك الصفات المميزة في كل حرف . والشرط في ذلك هو أن لا تعارض صفة الصفات الأخرى يقول مارتيني : " إن عدد العمليات اللفظية البسيطة

التي لا يمكن أن تلتبس بعضها ببعض في نظام صوتي قليل . ويمكن أن يزداد عددها بتركيبها بعضها في بعض وخاصة التي تقبل التركيب .. إذا لاتمانع العمليات الأخرى. وذلك مثل" اهتزازات الأوتار الصوتية فإنها لا تعارض أبداً حركات الشفتين أوحركات اللسان ولا يمنع الصوت الذي يحدث هذا الاهتزاز إدراك السامع لاحتكاك الحروف الرخوة. (اقتصاد ص 99 - 100).

ويقول: " فالمتقابلات المتناسبة هي من بين المتقابلات التي بها يزيد عدد الحروف في لغة ما دون أن يتزايد بنفس النسبة عددالعمليات التلفظية التي يجب أن تبقى متميزة" (نفس المصدر ص101) وذلك بيّن جدا لأنّ التناسب يجعل الفارق (وهو ناتج عن عملية تلفظية بسيطة مثل الجهر أوالتفخيم وغير ذلك) يطرد فلا يكون لكل متقابلة فارق خاص .

استقرار اللغة بالمتناسبات والحزم ومعنى الاندماج في النظام

يقول مارتيني أيضا: " إن للمتناسبات مساهمة في إبقاء النظام على ماهو عليه .

وذلك لأنها يتقلّل بها عددالتلفظ .. فتكون أبيّن. ومن جهة أخرى بكثرة دوران هذه العمليات في الكلام (لقلة عددها) يكون للناطقين بها أكثر من فرصة لإدراكها وإحداثها" أما الفونيمات الغير المندمجة المنفردة في النظام فتكون أكثر عرضة للزوال" (31). ويخلق لها قرين يتناسب معها أو تتحول مع الزمان إلى قرين آخر لفونيم منفرد مثلها (نفس المصدر ، 103).

فأحسن الأنظمة الصوتية هي نظريا التي تكون وحداتها **مندمجة أي داخلة في متناسبات أو حزم** . فبما أن المتناسبات و الحزم هي التي تساهم على بقاء النظام على ماهو عليه إذ تناسب أجزائها هو عين الانسجام اللغوي (اطراد الفوارق في عدة

(31) مثل الضاد العربية القديمة كما رأينا .

حروف) فالحروف المندمجة في النظام بهذا المعنى (Integration au système) هي أكثر الحروف مناعة بالنسبة إلى التحوّل الزماني. أما عمليا فليست كل أنواع التراكيب التلفظية ذات قيمة واحدة فأوفى الأنظمة إنسجاما ليست بالضرورة أكثرها). خفة ولا أكثرها استقرارا عبر الزمان. (نفس المصدر ص (103-104). ثم إن اتّساع المتناسبات والحزم لا يحصل منه ضرورة اقتصاد إلا إذا كان التلفظ المركب الناتج عنها يسهل تحصيله وإدراكه (107).

وسوف نتطرق في العدد القادم إن شاء الله لنظرية ياكوبسون الثنائية وما آلت إليه الفونولوجية في السنين الأخيرة ثم نوجه للفونولوجية عامة ونظرياتها الخاصة للنقد الموضوعي الذي لامناص منه. مع الالتفات كعادتنا إلى ماجاء به علماؤنا قديما مما له علاقة بهذا الموضوع

يتبع

د. عبد الرحمان الحاج الصالح

النظام الفونولوجي العربي (في زمان سيبويه)

بحسب ما جاء عند الخليل وسيبويه من الأوصاف والتصنيف للحروف العربية

المخارج / الصفات (بحسب اتساع المخرج)	شفوي	لثوي	نطعي: ذولقي أو أسلي	نطعي: صفيري	شجري	من مؤخر الحنك	لهوي	حلقي: أدنى الحلق	حلقي: وسطه	حلقي: أقصاه
أصوات الحركات (المصوتات)	ـُ				ـَ					ـَ
	ـو				ـي					ـا
	و				ى					
ومداتها - اللين - المنحرف - المكرر - الأغن - الناصع (1) بينية	م		ل ر ن		ض				ع	
الرخوة مفخم: مجهور		ظ		ص						
الرخوة مفخم: مهموس								غ خ (2)		
الرخوة غير م: مجهور		ذ		ز						
الرخوة غير م: مهموس	ف	ث		س	ش	ك			ح	هـ
غير مفخم: مجهور			ط				ق			
غير مفخم: مهموس			د		ج					ء
مفخم الشديدة: مجهور	ب		ت							
غير مفخم الشديدة: مهموس										

النظام الفونولوجي الفرنسي الحالي (1)

Classe des phonèmes consonantiques (ou consonnes) فئة الصوامت

Degrés درجات الحصر أو الاعتراض			مواقع الحصر Localisation de l'obstruction (المخارج)		
			fermeture ou d'obstruction de		
			Occlusion حبس شفوي	Occlusion حبس لساني	
			Labiale Région حبس شفوي	dentale Linguale	Région palatale
Liquides	جانبي مكرر Latérale /l/ (long)			حيز الأسنان	حيز الحنك
	غير جانبي Vibrante /r/(rond)				
	السائلة غير مكرر non Latérales "coulantes" non vibrantes		/w/ (oui)	/w/ (lui)	/j/ (yeux)
Fricatives الرخوة	non voisées	مهموس	/f/ (feu)	/s/ (russe)	/s/ (marche)
	voisées	مجهور	/v/ (veut)	/z/ (ruse)	/z/ (marge)
Occlusives الشديدة	nasales	أغن	/m/ (mont)	/n/ (nom)	/n/ (gnon)
	non voisées	مهموس	/p/ (pont)	/t/ 'thon)	/k/ (camp)

Consonne "neutre" /h/ (hetre)

(1) من كتاب: J.Barraut J.Bonnet L'esprit des mots

صامت محايد

Classe des phonèmes vocaliques (ou voyelles): فئة المصوتات

بجرهما	Lèvres tirées	Lèvres arrond-	بضم الشفتين
ذهاب اللسان نحو مقدم الفم	Langue vers l'avant	Langue vers l'arrière	نحو مؤخر الفم

اتساع جوف الفم Volume de la cavité buccale				
	4	Gral شفوي /a/ (patte)	/a/ (pâte)	
		Nasal أغن	/a/ (pente)	
	3	Oral شفوي /e/ (prêt)	/oe/ (jeune)	/c/(sol)
		Nasal أغن /e/ (fin)	/oe/ (parfum)	/c/(fond)
	2	/e/ (pré)	/o/ (jeune)	/o/ (saule)
	1	/i/ (prix)	/u/ (lu)	/u/ (moule)

Voyelle "neutre" /e/ (le) مصوت محايد

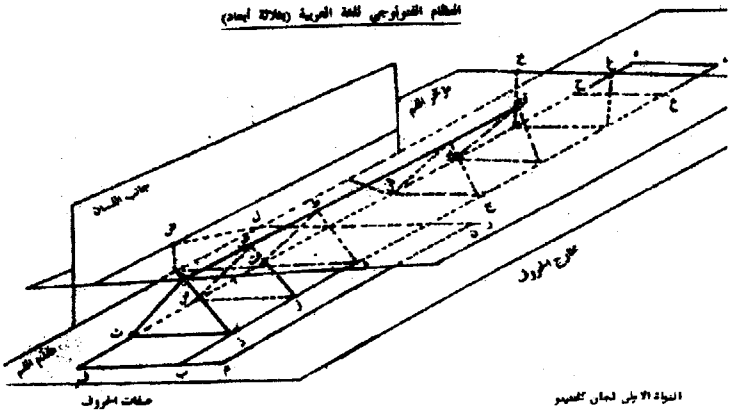

(1) من كتاب: J.Baraut et j.Bonnet L'esprit des mots.

النظام الفونولوجي الانكليزي [1]

1- نظام الصوامت

		Bilabial	Labiodental	Dental	Alveolar	Alveopalatal	Velar	Glottal
Stops	voiceless	p			t		k	
	voired	b			d		g	
Affricates	voiceless					c		
	voiced					j		
Fricatives								
slit	voiceless		f	o	s			h
	voiced		v	ö	z			
groove	voiceless					s		
	voiced					z		
Lateral	voiced				l			
Nasals	voiced	m			n			
Semivowels	voiced	w			r	y	n	

2) نظام المصوتات

	من مقدم الفم	من وسطه	من مؤخر
حاد High	FRONT	Central	Back
وسط Mid	i	i	u
منخفض low	e	e	o
	x	a	c

1) من كتاب كليسون

An Introduction to descriptive linguistics, pp.24,35.

تعليق

1- ألحّ الوظيفيون كما رأينا على التمييز بين مفهوم الوحدة الصوتية أو الفونيم وتأدياتها المختلفة من جهة وعلى كون الوحدات الصوتية تندمج في نظام قائم برأسه وخاص بلغة من اللغات . فأما مفهوم الفونيم فلم يتطرق إليه العلماء العرب مثل الغربيين في زماننا هذا، وذلك لأسباب تاريخية محضة فالإطالة في الكلام عن الفونيم كان في الحقيقة ، ردّ فعل كما بيّناه على التاريخيين الغربيين . ثم قد ظهر في أواخر القرن التاسع عشر في أوربا مفهوم الشكل والصيغة التي يجب أن تميز عن الأفراد التي تتكوّن منها .أما اللغويون العرب فكانوا يسمون حرفا أقل ما يمكن أن ينطق به من الكلام غير مفرد (32) وكذلك مايرمز به إلى ذلك في الكتابة (33) فهذا الفونيم كأقل جزء من الكلام . أما الفونيم في مقابل تنوعاته فهو اسم حرف (كحرف الجيم مثلا) وذلك لأن الاسم العام يدل في الوضع على أمة كما يقول سيبويه أي على جنس ، لا على فرد معين . فأما مايحصل بالفعل من صوت فهو المخرج كمصدر لا كاسم مكان فهو بهذا المعنى مصدر للخروج بمعنى الحدوث والتحصيل وإخراج الحرف عندهم هو إحداثه والمخرج كاسم مكان يدل على مكان حدوث الحرف . أما التنوعات للحرف الواحد فهي كما قلنا البدل الواجب أوالضرورى أوالبدل الجائز (اللغة) هذا وإن لم يخرجوا بنظرية في ذلك (كالوظيفيين) فلم يفتهم التمييز بين الحرف وخروج الحرف في

(32) إذ لايمكن أن ينطق بحرف واحد في اللغة العربية والكثير من اللغات .

(33) أما التمييز بين الحرف وبين رمزه الخطى فالسياق كان كافيا لذلك . ولا ننس أن التخليط بين الفونيم وكتابته لا يحصل إلا عند من يتمكن من دراسة الأصوات .

مخرجه [34] ولم يضطرهم أي حادث تاريخي في زمانهم حتى يثيرهذا الموضوع كما فعله الغربيون . ثم إنهم كانوا في زمانهم مشغولي البال بوصف الضوابط التي تضبط النطق الخاص بأكبر عدد من العرب الفصحاء لا ببناء فلسفة حول الحرف .

فالجدول الذي نقدمه للقراء الكرام هو النظام الذي تصوّره الخليل وسيبويه تماما وهو في جدول ذو مدخلين : المخارج والصفات . أما المخارج فالمقصود هنا هو مكان حدوث الحرف في القناة الصوتية وهي صفات مميزة أيضا ، أما الصفات فهي الكيفيات التي تتميز بها الحروف في داخل كل مخرج . ويسميها الرمّاني فصولا لأنها تفصل بين الحروف التي تخرج من مخرج واحد .

ويمتاز اللغويون العرب عن المحدثين بجعلهم هذه الفصول متفرعة بالتدريج الأكثر انفتاحا إلى أقلّه أو عدمه وهذا قد عرفه سوسور ولكن الفرق الأساسي هنا هو أن التفريع يقع عند العرب بالزيادة من أفتح الحروف إلى أغلقها [35].

(وقد أشرنا إلى ذلك قبل) . لذلك يسمون ال distinctive feature فضيلة إذا كانت وحدها كافية للتمييز .

ثم إن هناك مسائل تطرقنا إليها في كتابنا : اللسانيات العربية واللسانيات العامة وفي دراسات أخرى . منها مفهوم حرف المدّ فهو ليس مصوتا طويلا (على حد تعبير الصوتيات الغربية) بل هو امتداد لصوت الحركة (الجزء الأخير للمصوت الطويل).

---

(34) أي تحصيل الحرف كالجيم مثلا وتصييره صوتا مسموعا قد يكون جيما معطشة أو جيما مصرية أو جيما مغربية وغير ذلك مما ينتمي إلى ما يندرج تحت إسم الجيم (وهو حرف أي فونيم بهذ المعنى)

(35) الزيادة تكون بعمل عضو زائد والاغلاق المتدرج يقتضي هذا العمل الزائد .

ووفق العرب في تمييزهم بين الحركة وصوت الحركة من جهة وبين هذا الصوت وامتداده من جهة أخرى لأنهم لاحظوا أن الحركة قد تكون بلا صوت وهو المختلس أو المخفي كما تفطنوا إلى أن المدّة هي حرف قائم بنفسه لغويا (هي علامة) وإن كان غير مستقل لفظيا (لايمكن أن ينطق به بدون حركة قبله) إلا أنّ تحوّلاته هو على حدة دون الحركة التي قبله تدل على أنّه عنصر قائم بنفسه ولا ينبغي أن يغمر في المصوت الطويل بدعوى أنّه غير مستقل عما قبله .

أما الحرف البينية فهي بين الشديدة والرخوة وعجب بعض المحدثين من وضع العرب العين في هذا الفصل والحق أن العين هي نتيجة عن انقباض وانبساط لوسط الحلق (medio.pharynx) سريعين يشبه ذلك الاهتزاز كما تبينه الصور بالأشعة (وليست الحاء هكذا وإن كانت تقابلها في كونها مهموسة من وسط الحلق [36]).

أما الطاء فكانت مهجورة فزاحمتها الضاد إذا صارت دالا مفخمة (في القراءة القرآن حاليا وفي النطق الفصيح اليوم) وهي غير التي وصفها سيبويه . فصارت الطاء مهموسة وهي خانة فارغة في نظام الفصحى القديم .

أما الجيم فوصفها سيبويه بالشدة (حبيسة عند ابن سينا = stop) وجعلها مقابل الشين التي هي رخوة . فهذا يدل على أن شدّتها لم تكن مثل شدة الجيم في شمال مصر (G) وذكر سيبويه هذا الحرف عند ذكره الجيم التي كالكاف فليست هي الجيم الأولى وكل هذا يؤكد الافتراض القائل بأنها كانت شديدة في بدايتها مثل الجيم المعطشة اليوم .[37].

---

(36) يمكن أن تعتبر العين رخوة بشيء من التسامح في مقابل الحاء بفارق الجهر والهمس .

(37) سيصدر كتابٌ يجمع كل ذلك بالتفصيل وبالاعتماد على الأجهزة إن طال الله في العمر.